

ان أكرمكم عندا أتفاكم، وإذا قال لهم النذير: كلكم لادم وآدم من تراب، أو الناس سواسية كأسنان المشط، ((لقد جئتم شيئا اداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا)) فلا أقل من أن يخرجوه من البلد، وما دروا أن ربه يخرجهم من بيته بالحق، لقد كانوا قبله يعلمون أنهم فيما بينهم سواء ((كأسنان الحمار)) بيد أن تلك المساواة والسوية التي تقتضيها أمور خاصة لايجوز أن تجوز حيزها الخاص إلى المحيط العام.

قلت: ولما ذا الجاهلية وتمثل أمثالها، فلقد يتهياً لى أيام كنت صبياً يسألنى سائل: أمسلم أنت أم عربى؟ ولما كنت من بيئة مسلمة كان يتعذر على أن أجيب اجابة لاتتضمن أنى مسلم، الا أنى عربى مستمسك بعروبتى، فيتعذر على كذلك أن أجيب اجابة تغفل هذه العروبة، فكنت أجيب أنى عربى مسلم، ولكن السائل يريد أن يعثب بى فيلحف فى المسألة: كلا لا بد أن تختار أحد الأمرين، فأنت اما عربى واما مسلم، ويغيثنى ا برجل واسع الافق يقول لى: أجب بأنك عربى تام، فإن العروبة لم تتم بل كانت معنى منقوصاً أتمه الاسلام أو أكمله، فاذا قلت أنا عربى تام أو عربى كامل تضمن هذا التعبير وأشباهه أنك مسلم، ولم يكن عجيباً أن أفقه هذا النحو من الكلام على صغر سنى، فإن الصغار يفهمون أشياء تبدو متعذرة الفهم متى كان الشارح ممن يحسنون الافهام فوق احسان الفهم، كذلك لم يكن عجيباً أن يستجيب العرب لدعوة الرب حين أرسل اليهم محمداً صلى ا عليه وعلى آله والتابعين.

لست أدرى من فقيه اللغة أو ((اللغات المقارنة)) الذي قال ان لفظ ((عرب)) أصله العتيق هو ((على الرب)) صارت إلى ((عرب)) ثم خفت الراء فهى ((عرب)) كما أن لفظ ((عجم)) أصله ((على الجم)) أى على الماء صارت عجم، ثم خفت الجيم كما خفت راء عرب، فالعرب فى عيشها على ا أو على الرب مع الكلاً حيث شاء ا أن ينبت، فاذا استنفدته يمتت غيره، فإن أرض ا أريضة هريضة وفيها مراغم كثير وسعة على خلاف غيرها من الامم التي تضرب أو ((تخيم)) أو تبني قراها على الماء وعلى الأنهار، أو تستنبت الماء من الابار لتسقى الزرع أو ترويه ريا فنيا لايعرفه أولئك الذين يحلون ويرتحلون حيث شاءت منازل الغيث، انه لتعليل